الصباح ارعدت السماء وابرقت فجأة فى هذه الارض الغريبة ولكن لم تكن حقيقية بل كان البرق لهيب نيران المقذوفات والرعود أصوات قصف المدافع وكانت لرياح الهائجة تزيد وحشة الحالة . كان لون السماء في ذلك الوقت دمويا

وكانت هذه واقعة (نانشان) الكبيرة وكان لا يمكننا أن نسكن من شدة الانشراح وهياج وتحمس أنفسنا

الفصل السادس

اهمية بورت ارثور

هذا هو يوم ٢ يناير سنة ٣٨ من (الميجى) وهو تاريخ لاينسى مدى الدهر اذ كان رأس السنة الجديدة السعيدة وتاريخا لميلاد أحد احفاد جلالة الميكادو وسقوط بورت ارثور فهى بلا شك أسعد وأشهر سنة فى تاريخنا وسقوط بورت ارثور كان حادثة جعلت عصراً جديداً فى تاريخ العالم واننا لا ننسى أنا لم نحصل على هذه النتيجة الا بسفك نهور من الدم ولقد كان يفتخر (كوروپا تكن) قائد الجيش الروسى بقوة هذا الاستحكام المنيع قائلا أنه يمكنه أن يقاوم أشد مهاجمات يتصورها الفكر لمدة سنة ولكن قذف رصاص وقنابل الجيش الهاجم اليابانى بدون انقطاع ولا ملل على ذلك الحصن أجبر الروسيين على أن يسلموه في اقل من مائتين وخمسين يوما أما جنودنا من ابتداء المهاجمة الاولى فى (نانشان) لغاية تسليم (استيسل وهو قائد قوة بورت ارثور الروسية المدافعة) فصارت تلولا ودماؤهم نهيرات

حتى كان المشاهدون يشكون فى نجاحنا إلا أن روح ياماتو اليابانية هى صلبة كالحديد المطروق مائة مرة وجميلة كزهر الكريز على الف غصن وداماشى (هي بقية تلك الروح) رهن بقوته المدهشة انه يتغلب على هدم امنع استحكام صناعى وفى الوقت نفسه لا يمكننا الا أن نعجب بالبسالة الفائقة التى كانت تستعملها الجنود والقوادالروسيون فى الدفاع عن مراكزهم فى أوقات حرجة للغاية ونحن نعزز أقوال منتقد أجنبي وهى : هوجموا جيداً — ودافعوا جيداً

وكانت حادثة بورت ارثور هذه جاذبة انظار العالم باسره اليها من أول حرب الصين مع اليابان السابق ولقد انفقت روسيا لتحصينها فى نحو عشر سنوات المئات مليون من الين (عمله يابانية تعادل عشرة صاغ) وكانت تعتبر انها من الاهمية الحربية بمكان حتى أن سقوطها يعتبر انه نهاية للحرب اليابانى الروسى كسقوط بليفنا (وهى التى قاوم فيها الغازى عثمان باشا مدة الجيش الروسى الذى كان اضعاف جيشه) الذى عند ما حصل اعتبر ختام الحرب الروسى التركى واستحكام بورت ارثور هذا يلم بين جوانحه البلدة والمينا وتلولا عديدة ارتفاعها من مائتين الى خمسمائة متر وهى ساتر طبيعى للموقع وزيادة على هذه الفوائد الطبيعية توجد حذاقة الروسيين الشهيرة فى العالم فى عمل الاستحكامات فكان كل تل و كل ارتفاع عليه استحكامات بمدافع ضخمة عديدة ومدافع سريعة الطلقات وبنادق حتى انه كان المهاجم عليها من الامام والجنب يضرب بكل سهولة وكانت الموانع التى حولها موضوعة بحيث لا يمكن الاقتراب منها وذلك بوضع الغام ارضية أو حفر ذئب أو عراقيل

سلوك وهلم جرا ـ وكان من الصعب ايجاد أى محل خال يمكن المرور منه بدون انزعاج وفى الحقيقة أن أخذها كان من رابع المستحيلات اما موقفنا والحالة هذه فكان غير مفيد بالمرة اذ كنا نتساق احيانا تلا حاد الميل و ننزل تارة فى واد عميق أو نظهر فوق سفح متعرض لنيران العدو عند مهاجمة أى استحكام روسى وبالجملة فقد كان الموقع بكيفية يتيسر بها بسهولة المدافعة عنه وصعوبة الهجوم عليه وزيادة على ذلك كان عند الروسيين مؤونة وذخيرة تكفيهم لمقاومة حصار طويل بدون أن يتكلوا على أى مؤونة اخرى تأتيهم من الخارج

ومع ذلك فانه لا يوجد مثل واحد فى التاريخ ان استحكاما يمكن أن يقاوم محاصرة على الدوام ولكن كل استحكام ينتظر أن يسلم عاجلا أو آجلا أو يفقد جميع رجاله ثم يسقط . وهذه الحالة ستستمر الى ما شاء الله فانا نرى أن (سباستوبول) قاومت جيوش فرنسا وانكلترا المتحدة زيادة عن ثلثمائة وعشرين يوما ولكنها سقطت أخيراً عند ما هدمت أرصفة الميناء والقلاع ومبانى المدينة كلها وفى (كارس) قاوم القائد مختار باشا ومعه مؤونة ثلاثة أشهر فقط وذخيرة ثلاثة أيام ومعه جنود عثمانية مدة سبعة أشهر الجيش الروسى المكون من خمسين الف جندى ولكنها سقطت أخيراً ولقد أعجب الجنرال الروسى (مورافياف) بعمل بطل (كارس) هذا وأرسل اليه هذا الجواب :

« سيعجب العالم بأسره وذرية المستقبل ببسالتكم ونظامكم فلتشرف بالاستشارة معا للحصول على طريقة لوضع طلبات الحرب بدون عمل أى

ضرر خدمة للانسانية »

ولقد قاومت باريس محاصرة البروسيين مدة مائة واثنين وثلاثين يوما قبل التسليم وكل هذه أدلة قاطعة شهيرة قليلة من كثيرة بينها التاريخ وهكذا كانت المواقع المحاصرة تسقط عاجلا أوآجلا والغرض الوحيد من الخدمة التى يؤديها أى موقع مستحكم هو مقاومة المحاصرين وقتا طويلا على قدر الامكان لاعانة تصميم قوة العدو العمومية وهذا الغرض نفسه استعملته الروس فى بورت ارثور التى عطلت أمامها عددا عظيما من اليابانيين مدة طويلة حتى يتسنى للقائد العام الروسى (كروباتكن) اجراء تصميماته بدون عائق فى شمال منشوريا ولهذا الغرض العظيم كان القائد (استوسل) الروسى متمسكا بهذا المكان ذى الاستحكام العجيب عاملا كل ما فى وسعه لمقاومة الجيش اليابانى المحاصر

فلو فرض أن بورت ارثور كانت لم تسقط قبل واقعة (موكدن) العظيمة فما كان اذا يحصل فى تصميم حربنا العمومى وهذا الغرض كان يجعل اهمية بورت ارثور واضحة لكل عقل وعليه فكانوا يسعون فى الاستيلاء عليها عاجلا مجتهدين فى أخذها وكان العدو يقاوم مقاومة يأس ونحن نهاجمهم مهاجمة يأس أيضا ولقد اشترى القائد (نوجى) هذا الاستحكام بثمن غال وهو تضحية عشرات الآلاف من الانفس ولكنها عند ماسقطت علمنا اننا اشتريناها بثمن بخس جدا لعظم اهميتها

وان موقعا منيعا غير ممكن الاقتراب منه مثل هذا يؤخذ فى ثمانية اشهر يبرهن كيف كانت المحاربة عنيفة ولم ير فى تاريخ العالم محاربة أكثر

دما من محاصرة بورت ارثور هذه فان حصار (بليفنا) الشهير بانه أهرق فيه دم أكثر من غيره فصوره بالبويه المصور العظيم سيئ الحظ (فريشاچين) الذي ذهب الى قاع البحار خارج بورت ارثور مع الاميرال (مخاروف) يحفظ تذكاراً الى الذرية ولكن لو كان عاش هذا المصور الى ما بعد ان شاهد آخرة بورت ارثور لكان رسم مناظر دموية أعظم منها ولقد عبر المستر (جورج كنان) مكاتب جريده (أوت لوك) الشهير عن هذه المحاصرة بأنها قطعة من الجحيم الاسفل وجدت في مسكننا الارضي هذا ومع ذلك كل هذه المناظر العظيمة كانت لازمة لأهمية بورت ارثور نفسها الحربية أما كيفية محاصرة بورت ارثور ومهاجمتها فجوابه هو مركزها والغرض من هذه المجالة هو الحصول على تفسير قصير عن أهميتها ففي ليلة نزولنا البر في ليائونج سمعنا دوي صوت الموقعة الحاصلة حول (نانشان) المدخل الوحيد الى بورت ارثور ولنرجع الآن الى موقعة نانشان هذه

الفصل السابع

موقعة نانشان

كان رعد المقذوفات يزداد قوة كلما تقدم الوقت في اتجاه (نانشان) فكيف كانوا يحاربون هناك ياترى ؟ وكيف كان الثبات والشجاعة اللذان رآهما أخواننا هناك ؟ وهل تم الاستيلاء على الموقع أم هم لم يزالوا يحاربون حوله . فيلزمنا أن نسرع الى هناك لنشترك معهم في أول الوقائع وهي فرصة